

منبر المحراب

دور شهادة القادة في صناعة النصر

السنة الخامسة عشرة

العدد ٨٢٠ - ١٤٠ / صفر / ١٤٣٠ هـ

الموافق ١٠ / شباط / ٢٠٠٩ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١- رسول الله ﷺ وعلي ﷺ نموذجاً القدوة الأكمل للقادة الشهداء
- ٢- القادة الشهداء وصناعة النصر
- ٣- كيف يصنع القادة الانتصار بدمائهم؟

الهدف: التعرف الى معاني شهادة القادة، وأثرها على المجاهدين في صناعة النصر.

تصدير الموضوع: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسَا لَهُمْ وَأُضْلَ أَعْمَالُهُمْ﴾ (سورة محمد: ٨، ٧).

مدخل: إن مفهوم الشهادة بأبعاده كافة قد نال مرتبة عالية ومقاماً شريفاً. وقد حدد القرآن الكريم والسنة الشريفة مقام الشهداء عند الله عز وجل، وفضلهم حتى غدت الشهادة وسيلة القرب من رحمة الله تعالى، والفوز بمرضاته، فكان شهداء الإسلام منذ بدء الدعوة النبوية وإلى يومنا هذا يشتركون بالشهادة حياة الخلود والقرب الإلهي في دار الحيوان، دار الآخرة ويصنعون الحياة الطيبة والسعيدة للأمة من بعدها ولكل الأحرار والشرفاء، فكيف إذا كانت هذه الدماء دماء القادة الشهداء، وكانت الأمة أمة المقاومة؟

فالتضحية بالنفس هي أعلى أنواع التضحية، وفيها يجود المسلم بنفسه لله سبحانه وتعالى، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ

بِأَيْعَتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (سورة التوبة ١١١).

١- رسول الله (ص) وعلي (عليه السلام) نموذجاً القدوة الأكمل للقادة الشهداء:

لقد شغلت آيات الجهاد والقتال حيزاً كبيراً من القرآن الكريم يكاد يبلغ نصفه المدني، وفي هذا دلالة صريحة على أهمية الجهاد وموقعه في الشريعة الإسلامية، وحاجة المجتمع والدولة الإسلامية إليه كأحد أهم عناصر القوة التي تؤمن حماية البلاد والعباد، ولهذا عندما نستقرئ تاريخ المرحلة المدنية من الدعوة الإسلامية نجد أن النبي ﷺ قد شكّل قوّة عسكرية تحوّلت بسرعة إلى جيش قوي يدافع عن المسلمين وعقيدتهم داخل المدينة وخارجها، ما ساهم في تبديد قوى الشرك والكفر. تمهيداً لدعوة الناس إلى الإسلام، وتؤكد المصادر التاريخية المختلفة أن رسول الله ﷺ كان قائداً عسكرياً يخطّط تارة، ويوجه المجاهدين أخرى، ويقاوم معهم ثالثة، ويقود الجبهة رابعة، وهذا ما يفسّر كثرة عدد الغزوات التي قادها النبي ﷺ بنفسه حيث بلغت سبعاً وعشرين^(١)، وزيادة عدد السرايا التي أرسلها بقيادة أمير المؤمنين (عليه السلام) وبعض صحابته التي تزيد عن الثلاثين على أقل الروايات، وأن النبي كان أشجع الناس بل أكملهم شجاعة وإقداماً في هذه الحروب. وقد ظهرت شجاعته في المعارك الكبرى التي قاتل فيها، ففي معركة بدر، عبّر الإمام علي (عليه السلام) عن شجاعة رسول الله ﷺ وإقدامه بقوله: «لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً»، (كنز العمال ج ١ ص ٧٩٢ ومسنّد أحمد ج ١ ص ٦٨)، وقال (عليه السلام): «كنا إذا حمى البأس ولقي القوم القوم

اتقينا برسول الله ﷺ فلا يكون أحد أدنى إلى القوم منه، (السيرة النبوية، ابن كثير ج ٢، ص ٥٢٤)، وفي معركة أحد قاتل قتلاً بطولياً لم يقاومه أحد من البشر.

ويجب أن لا يغيب عن بال أحد ما لحضور القادة في الميدان مع المجاهدين من الأثر الكبير على المعركة والمجاهدين معاً، ومجريات الأحداث ونتائج المعركة شهادة كانت أو انتصاراً، وما للقيادة الشخصية لرسول الله ﷺ للمعارك، ولوجوده الشخصي في ميدان الحرب من دلالات تشريعية وتربوية وروحية عميقة، رسخت عبر التاريخ في قلوب المجاهدين والمقاومين، وأصبحت عنصراً فاعلاً في كل الانتصارات، ومن هذه المدرسة تخرج القادة الشهداء والمجاهدون في المقاومة الإسلامية في لبنان، فكانت قوة المقاومة وثباتها، وأصبح دم الشهداء عنصراً حاسماً في النصر.

٢- القادة الشهداء وصناعة النصر:

إن بلوغ الأهداف الكبرى في الحياة يستلزم تضحيات كبرى مكافئة لها، ولا ريب أن سمو الأهداف ونبيل الغايات يقتضي سمو التضحيات وشرفها ورقي منازلها. وإذا كان أشرف التضحيات وأسمها هو ما كان ابتغاء رضوان الله تعالى؛ فإن الذود عن حياض هذا الدين؛ والدفاع عن مقدساته يتبوأ أرفع درجات هذا الرضوان. ثم إن للتضحيات أنواعاً كثيرة: تأتي في الذروة منها التضحية بالنفس، وبذل الروح رخيصة في سبيل الله لدحر أعداء الله ونصر دين الله، وهذا ما جسده شهداء المقاومة الإسلامية من المجاهدين والقادة على امتداد سنوات الجهاد وسوحوه، ولا سيما القائد الجهادي الكبير (الحاج رضوان)، وسيد شهداء المقاومة السيد عباس الموسوي، وشيخ شهدائها الشيخ راغب حرب،



إليه يصعد الكلم الطيب

الركن الثاني: الأخذ بالأسباب الطبيعية كالتخطيط والتدريب والتجهيز ومعرفة العدو وخططه وتقنياته، والاستفادة من مختلف التقنيات العسكرية الممكنة. قال الله تعالى: **﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾**. (الأنفال: ٠٦) والقوة هنا تشمل القوة المادية، والقوة العلمية، والقوة الروحية، والقوة الأخلاقية، حتى يكون أهل الإيمان أقوى من أعدائهم لِيُرْهِبُوا أُولَئِكَ الْأَعْدَاء.

خاتمة: نستلهم من روح الحاج رضوان وهامته العالية ثلاث وصايا عظيمة لطالما حرص عليها وسهر على حفظها، واستشهد على نهجها وهي:

الوصية الأولى: نهج الإمام الخميني، نهج المحمدي الأصيل
الوصية الثانية: وصية شيخ الشهداء الشيخ رابع حرب وموقفه الشهير «الموقف سلاح...»

الوصية الثالثة: وصية سيد شهداء المقاومة السيد عباس الموسوي: «الوصية الأساس... حفظ المقاومة..»

فتمكّن الحاج رضوان وإخوانه المجاهدون من حفظ هذا النهج وترجمته في سوح الجهاد والنصر... ولا سيما في حرب تموز ٢٠٠٢م، حيث كان السلاح الأقوى في هذه الحرب هو الإيمان والصبر والإرادة والثبات والتوكل على الله تعالى والإخلاص والطاعة له سبحانه، فالمجاهدون بحق كانوا رجال الله، وقد تولاهم الله بعنايته ورحمته وتوفيقيته وتسديده، وقادهم السيد الملمه أعاد إلى الأذهان صوت محمد ﷺ بقيادته الإلهية الحكيمة، وشجاعة علي في خيبر، وصبر الحسن ﷺ على المؤامرات، وإصرار الحسين ﷺ على النصر المؤزر، ولهذا أعلن باطمئنان ووثوق في بداية الحرب: النصر آت آت آت إن شاء الله. وهنا تكمن قدسية المقاومة والنصر الإلهي المؤزر في حرب تموز.. قال الله تعالى: **﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**.

«مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ عَرْضِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ قَوْمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ» (أخرجه أحمد، ج ١، ٩١، ١، وأبو داود، ج ٥، ٨٢١ - ٩٢١ برقم ٢٧٧٤) وقد جاء في القرآن آيات كثيرة تحث على استشعار روح هذا الجهاد فقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾**. (المنكبوت: ٩٦، وقال: **﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ﴾** (البقرة: ٨١٢).

هذا إضافة لتصريح النبي ﷺ وأمير المؤمنين بحب الشهادة والقتل في سبيل الله، فورد عنه ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل، (مسند أحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١٢٢)، وعن علي ﷺ: «... فوالله إني لعلی حق واني للشهادة لمحّب» ج- بيان صفة حياة الشهداء عند ربهم: قال تعالى: **﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾**. آل عمران / ٩٦١ وقال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يَقتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**. البقرة / ٤١.

الثالث: التوكل على الله والأخذ بالأسباب: التوكل على الله مع إعداد القوة من أعظم عوامل النصر: لقول الله تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** (المائدة: ١١)، وقال سبحانه: **﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** (آل عمران: ٠٦١)، وقال تعالى: **﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾** (آل عمران: ٩٥١). وقال - عز وجل -: **﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾** (الأحزاب: ٣)، ولا بد في التوكل من الأخذ بالأسباب: لأن التوكل يقوم على ركنتين عظيمين: **الركن الأول:** الاعتماد على الله والثقة بوعده ونصره تعالى.

حيث قدموا أغلى التضحيات في أشرف الساحات دفاعاً عن أشرف الناس، ولأن الجهاد - في ثقافتهم - باب فتحه الله لخاصة أوليائه، ولأن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله، ولأن الشهادة حياة كما حفظوا جيداً من قرآن كتابهم، حيث قال تعالى: **﴿وَلَا تَحْسِبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾**. (سورة آل عمران / ٩٦١) وقال تعالى: **﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يَقتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾**. البقرة / ٤١. كان سر الانتصار بشهادتهم ودمائهم الزكية.

٣- كيف يصنع القادة الانتصار بدمائهم؟

إن صناعة النصر بالتضحية والدم والشهادة، ثقافة محمدية علوية حسينية تعلمها المجاهدون من بدر وخيبر وعاشوراء حيث القوة والثبات، والعزيمة والشجاعة؛ وانتصار الدم على السيف، والعزة على الذلة، والثبات والإرادة على الهزيمة والانقياد أمام الظالمين. وتعتمد هذه الثقافة في مواجهة الظالمين والمستكبرين على مجموعة من الثوابت أهمها:

الأول: الإيمان وطاعة الله جل جلاله: لأنه يقول في كتابه العزيز: **﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (محمد: ٧). ويقول: **﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**. (الحج: ٠٤) والإيمان ليس قولاً فقط، بل هو عقيدة وعمل واحتمال وأمل وثقة، يقول الله تعالى: **﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**. (الروم: ٧٤)، ويقول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**. (آل عمران: ٠٠٢).

الثاني: استشعار روح الجهاد والشهادة: بالاعتقاد بأن الجهاد والدفاع واجب كبقية الواجبات، بل من أهمها، وقد فرضه الله على كل قادر دفاعاً عن المقدسات والحرمان، وعن العقيدة والمبدأ، وعن الجَمَى والوطن، قال رسول الله ﷺ